د. قدوري ريم فتيحة

المحاضرة التاسعة: أطروحة الفضاء العمومي لهابرماس

أولاً: الفضاء العمومي/ أو المجال العمومي

تدفع محاولة فهم الإ طار النظري لدور تقنيات الأ نترنت الحديثة في المجتمعات المعاصرة الباحث إلى تناول مفهوم الفضاء العام أو المجال العام الذي صا غه الفيلسوف الألمان ي **يورغن هامبرماس** * (Jürgen Habermas)، في كتابه التحول البنائي للمجال العا م، وذلك عام 1989 Structual Trsnsformation of the Puplic Sphere.

سبق نشر هذا الكتاب باللغة الألمانية عام 1961، إلا أن ذيوع المفهوم و إنتشاره كان ارتبط بالترجمة الإنجليزية التي صدرت عام 1989، وأصبح مفهوم المجال العا م مفهوماً مركزيا في الدراسات الإ علامية في السنوات الأخيرة.

قبل خوضنا في هذه النظرية من المهم أن نوضح عدم إتفاق بين الباحثين حول مصطلحات هذه النظرية . حيث يستخدم بعض الباحثين لفظ أو مصطلح المجال العام، في حين يستخدم آخرون مصطلح الفضاء العام .

ونُرجع أسباب هذا الاختلاف إلى حداثة مصطلح المجال العام الذي صاغه هابرماس، وإختلاف المدارس العلمية والفكرية التي ينتمي لها الباحثين أنفسهم وإنقسامهم بين الترجمات عن اللغة الإنجليزية التي تعتمد مصطلح المجال العام، والبعض الآخر ينتمي إلى المدارس الفرنسية في ترجمتها لما صاغه الفيلسوف الألماني والتي تعتمد مصطلح الفضاء العام .

* يورغن هابرماس Jürgen Habermas، فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر ولد 1929 في مدينة دسلدورف، يعتبر من أهم علماء الاجتماع والسياسة في العصر الحديث، .يعد من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية له ازيد من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم الاجتماع وهو صاحب نظرية الفعل التواصلي.

ثانياً: مفهوم النظرية:

يقصد بالفضاء العمومي ذلكم الحيز الوسيط الذي ينشأ بين المجتمع المدني والدولة، إنه بعبارة أوضح المكان الذي يجتمع فيه جمهور المواطنين لصياغة رأي عمومي، ويكون هذا المكان مفتوحا من الناحية المبدئية في وجه كل المواطنين المعترف لهم بالحق في التجمع والتجمهر، والتعبير الحر عن أرائهم. **وصفة العمومية المنسوبة إلى هذا الفضاء ليست من جنس العمومية** التي تنسب إلى الدولة أو المجتمع السياسي، **العمومية المنسوبة إلى هذا الفضاء** تعد بالأحرى وسيلة لنقد ممارسات السلطة ومراقبتها.

كما يشير الفضاء (المجال) العام إلى الفضاءات والأماكن والمؤسسات التي تحتضن المناقشات العلنية التي تدور بحرية حول القضايا التي تهم الجميع وذلك باستعمال المنطق والحجج العقلية، والواقع أن فهم ما هو عمومي يتبلور ويتحدد من خلال وضعه في مقابل الحياة الخاصة التي تشير إلى ما هو فردي وعائلي.

قدم هابرماس الفضاء/ المجال العام بكونه وسيط يتوسط المسافة بين مجال السلطة العامة والحكومة، وبين المجال الافتراضي الذي قد يُركز على الأسرة وشؤون الأفراد الخاصة، وهذا الفضاء (المجال العام)– نشأ في المجتمعات البرجوازية الأوروبية، حيث كانت تُمارس فيه المناقشات حول السياسات الحكومية، وفي رحابه تتبلور إتجاهات الرأي العام.

وعرف هابرماس " الفضاء أو المجال العام بأنه مجتمع افتراضي أو خيالي ليس من الضروري التواجد في مكان معروف أو مميز (في أي فضاء)، فهو مكون من مجموعة من الأفراد لهم سمات مشتركة مجتمعين مع بعضهم كجمهور، ويقومون بوضع وتحديد إحتياجات المجتمع مع الدولة، فهو يبرز الآراء والاتجاهات من خلال السلوكيات والحوار، والتي تسعى للتأكيد على الشؤون العامة للدولة وهو شكل مثالي.

وأشار هابرماس إلى أن نجاح الفضاء / المجال العام يعتمد على [1]:

1 -مدى الوصول والإنتشار.

2 -درجة الحكم الذاتي (المواطنون يجب أن يكونوا أحراراً، يتخلصون من السيطرة والهيمنة والإجبار).

3 -رفض الإستراتيجيّ (كل فرد يشارك على قدم ومساواة).

4 -الفهم والثقة والوضوح والصدق في المضمون الإعلامي.

5 -وجود سياق إجتماعي ملائم.

جاء مصطلح الفضاء / المجال العام ليميز بين المجال الذي تسيطر عليه السلطات الحاكمة وبين المجال الحر المتاح لمناقشة مشكلات المجتمع، ومحاولات غير الرسميين في البحث عن حلول له.

هذا النقاش الحر يتيح المجال الى تشكيل الرأي العام والذي بدوره يمثل ضغطا لتحديد السياسات العامة، إلا أن انتشار وسائل الإعلام وخصوصا التلفزيون كما يرى هابرماس قد أساء للديمقراطية التشاركية، حيث يلعب المعلنون ومُلاك القنوات دورا في توجيه المجال العام ونقاشات المجتمع غير الرسمية في إتجاهات بعينها، وفي أوقات معينة، لكن ظهور الإنترنت وشبكا ت التواصل الإجتماعي وتطبيقات الويب 2 مثّل تحديا للمجال الرسمي وأعاد تشكيل المجال العام مرة اخرى.

وهو ما تسعى حاليا الكيانات الضخمة (Media Conglomerates) إلى إعادة السيطرة عليه إلا أنها فشلت في ذلك إلى حد كبير .[2] حيث يحدد "هابرماس" مفهوم المجال من خلال مجم وعة متنوعة من الطرق، حيث يشير إلى أن المجال العام يظهر إلى الوجود من خلال كل حوار يجتمع فيه الأفراد الخصوصيين لتشكيل هيئة عامة دون إعتبار للفروق الإجتماعية التي تكون بينهم.

---

[1] ايهاب حمدي جمعة، دراسة في نظريات الاتصال والتقنية، نشر عبر الرابط

http://alexandriamedia.blogspot.com/2014/05/blog-post.html

[2] Loren Sonnenberg ,New Media Technologies and the transition to Personal Publik Sphere , M.A University at Buffalo,2009.

هدف " هابرماس" من إستخدام مفهوم المجال العام، الذي هو من إختراع الفيلسوف الألماني " كانط"، إلى توصيف الواقع الذي شهدته بعض المجتمعات الأوروبية.

وهذا ما يؤكده هابرماس نفسه، حينما أشار إلى أن جذور المجال العام ترجع إلى العديد من المؤسسات الإجتماعية في المجتمع الأوروبي خلال فترة القرن الثامن عشر . ففي إنجلترا ظهر في المجلات والصحف والمقاهي، وفي فرنسا ظهر في الصالونات الباريسية بعد منتصف القرن، وفي ألمانيا إحتل شكلاً متواضعاً في نوادي القراءة.

ومن أهم السمات التي حددها هابرماس للفضاء العام ما يلي:

- ✓ المجال العام حيز من حياتنا الاجتماعية يمكن من خلاله أن يتم تشكيل ما يقترب من الرأي العام.
- ✓ المجال العام ينشأ من ناس خصوصيين يجتمعون معا كجمهور يتناولوا احتياجات المجتمع من الدولة.
- ✓ المجال العام هو مجموعة أشخاص يستفيدون من عقلانيتهم وتفكيرهم في مناقشة المسائل العامة.

فالمجال العام إذن هو تلك المساحات التي فيها يقوم الأعضاء بتناول ما يفضلونه ويصلون لقرار بخصوص كيف يعيشون معا ويعملون مع بشكل جماعي خلال المستقبل.

كما أن هناك ثلاثة مظاهر تميز المجال العام: أولها أن المشاركة فيه مفتوحة **وثانيها** أنه يساوي بين مواقع وأدوار الأطراف المشاركة فيه بغض النظر عن أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، **وثالثها** أن أي قضية فيه تكون قابلة للنقاش.

ويرى يورغان هابر ماس أنه توجد ثلاث وسائط تحكم المعاملات في الفضاء العمومي وهي:

- الدولة أو المجتمع السياسي يسمى وسيط السلطة.
- النسق الاقتصادي: يستعمل وسيط المال.
- المجتمع المدني: المهيكل في الفضاء العمومي ويستعمل وسيط الفعل (يسمى الفعل التواصلي).

انطلاقا من هذا المنظور لهابرماس يمكن القول أن الفضاء العمومي: هو مجال رمزي وسيط بين الدولة والمجتمع ولكن مجال التنافس على السلطة ويجتمع المواطنون في الفضاء العمومي لتبادل الآراء وتبادل الأفكار والنقاش والحوار المتصل بالشأن العام ومن هذه الزاوية فإن الفضاء العمومي المرتبط بالديمقراطية باعتبارها نظاما مخصصا لإدارة المجتمع يقوم على النقاش العام كوسيلة للتشريع، وفي هذا الإطار فإن الفضاء العمومي مؤشر للحكومة الجيدة والحريات السياسية والفكرية باعتبارها إحدى آليات المساءلة السياسية ووفق هذا المنطلق فإن الفضاء العمومي يقتضي ضمانات دستورية للحريات المدنية الأساسية مثل حرية التعبير والتجمع والتفكير ونظام إعلامي مستقل وغير خاضع لسلطة الدولة.

الفضاء العمومي يتحدد بثلاثة أبعاد تتمثل فيما يلي :

البعد السياسي: هذه الفضاءات التي كانت تحت سيطرة الحكام والملوك تحاول النخبة الجديدة الاستحواذ عليها وتحويل مجرى النقاش فيها ليكون مشحونا بالنقد اتجاه القصر (السلطة الحاكمة)

البعد الاجتماعي: يتحدد الفضاء العمومي نتيجة لهذه النخبة التي تنشطه والتي لا تنتمي إلى حاشية الملك ولا إلى عامة الناس إنما هي فئة تتبنى وتعتنق أفكار فلاسفة الأنوار.

البعد الثقافي: يتحدد من خلال عالم الكتابة، فمنذ اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر بدأت الكتابة في الانتشار بالإضافة إلى الصحف التي بدأت هي الأخرى في الظهور والانتشار، إلا أن التحسينات التقنية التي كانت جارية وباطراد وانتظام بلغت درجة متقدمة في القرنين 18 و 19 مما سمح للفئة المتعلمة والمثقفة بنشر أفكارها وتبادلها مع الآخرين.

نظرية المجال العام تؤكد على أن وسائل الإعلام الإلكترونية تخلق حالة من الجدل بين الجمهور، وتمنح تأثيرا في القضايا العامة وتؤثر على الجهة الحاكمة. ويمكن رؤية المجال العام كمجال حياتنا الإجتماعية، والذي من خلاله يُمكن تحقيق التعلم الذاتي لقيم المواطنة النشطة ومهارات الحوار والتفاوض والمشاركة الديمقراطية، وهو ما أُشير إليه بالتأثير السياسي للإنترنت بين الأفراد.